

كتاب ثمار القلوب

Le Livre Thimâr-al-Qulûb.

اتيج لي في الايام الاخيرة ان اطالع كتاب ثمار القلوب . في المضاف والنسوب ، للثعالبي بعد ان لبث في غيبة خزانتي لبث يوسف في سجنه ، وكنت في اثناء مطالعتي الملح في الحاشية تعليقات المصحح ، على بعض كلمات الكتاب على سبيل الشرح والتفسير .

فاذا انا امام « شريط من الاعاجيب » ما كنت اتخيلها ، وما كنت اظن ان بشرا حاضر العقل يرتكبها ، وان الانسان ليخلط في حماه ويهني في منامه ولكنه يخلط ويهني بما يقارب الواقع اما الحاشية فكانت فوق الخلط وفوق الهذيان .

وكانت اول غلطة فظيعة عثرت بها في مسيري رواية قول حسان ص ١٧٥ : « اني لو وضعت لساني على شعر حلقة ، او على صخر لقلقه » بقاين . (لقلقه) - وتعليقه عليها قوله « اللقطة صوت طائر طويل ... » فعملتها لاستبعاد صدورها من عاقل على هفوة قلمية واشرت الى ذلك في جزء سابق من هذه المجلة (٣٧١ : ٦) مشترا من المصحح بان الانسان محل السهو والنسيان ولكن لما امسكت في استعراض الحاشية مرت من امامي غناز وترهات لا يمكن لبشر احتمالها فالجأنتي الى استرجاع اعتدائي الانبي لم ارض لنفسي ان اعترف عن بلاهة فاضيف اليها بلاهة اخرى .

وهنا نذا اعرض على انظار القراء ما كتبت من الملاحظات حول تلك الفضائح وهي الى تفككة القراء اقرب منها الى النقد لان الحال سقطت عن ان يتاولها قلم منتقد . قال في ص ٢٦٧ بيت :

اناس هم المشط استواء لنى الوفى اذا اختلف الناس اختلاف المشاجب
اقول : (المشط) معروف و (المشاجب جمع مشجب) وهو - كما في القاموس - خشبات توضع عليها الثياب وهذا البيت بديع جدا لان الشاعر عمد الى آتين احدهما ذات فروع متضامة في استقامة وتواز والثانية ذات فروع

متفرقة ومتباعدة وقد تكون متقاطعة ومنعقدة فشبه الوراق بالآلة الأولى وشبه
الحقاق بالآلة الثانية والصيغة كما لا يخفى اسم آلة أما حضرة المصحح فأنه
فسرها في الحاشية بالاختلاط والتنازع وإن لم تضحك من هذه فسوف يضحكك
ما يليها ففي الصفحة نفسها قول بعض البلغاء : « في إحدى سني القلم أري وفي
الأخرى شري » ففسر حضرتي (الهري) بالحراج المعروف وهو بهذا المعنى
لو كن مقصورا على وزن (فنى) لكن مراد القائل ما يوازن (الأري) وتفسيره
على هذا الوزن (الحنظل) وهو الذي يناسب المقام لفظا ومعنى .

وفي ص ٢٨٢ : « ويقال أيضا كانت عليهم كراغية السقب يمنون رغاء بكر
تمود حين عثر الناقة قدار » هذا نص عبارة المؤلف وهو نفسه فسر السقب
بالبكر أي ولد الناقة فأتى المصحح وركب عشواء وقال : « السقب والصقب
بفتحتين القرب وفي الحديث الجار أحق بسقبه » فأين هذا من ذلك ؟

وفي ص ٢٨٤ قول بعض العرب في وصف ناقة : « الأبل سفن البر وجلودها
قرب ولحومها نشب وبعرها حطب وأثمانها ذهب » ومعنى النشب المال كما هو
معروف أما المصحح - وهنا تسكب المبرات - فقد قال : « النشب جمع نشابة »
فوقع في خطأ مركب : أولا إن لحوم الأبل ليست تصولا جارحة فتسمى
نشابا - ثانيا أن النشابة جمعها نشاب بأحقاط التاء كتنقاعة وتنفاح .

وفي ص ٢٨٦ في بحث (اشقر مروان) قال المؤلف : « هذا فرس مشهور
كان لمروان بن محمد آخر ملوك بني مروان وهو يعدل شبديز ابرويز في الحسن
والكرم حتى صار مثلا لكل ظرف - كذا بالظاء - صديق وفرس كريم » فقال
المصحح في الحاشية : « الظرف واحد الطرفاء والظراف وهو المشتعل على طباع
كريمة » فهل وأيتهم بالله عليكم بلاهة توازي هذه البلاهة ؟

أولا أن الظرف ليس واحد الطرفاء والظراف بل واحدنا ظريف وثانيا
أن التصواب (طرف) بالإهمال والكسر كـ (سرب) الكريم من الخيل وهو
المنسب للمقام .

وفي ص ٢٩٠ بيت من قصيدة أبي دلالة :

وتحفى أن بسطتها الحشايا ولو تمشي على رمث الرمال

كما ترى (دمث) بالراء وعلق عليها في الحاشية « نبات ترعاه الجمال
يبت في السهل ... » ١ والصواب (دمث) بالذال يقال فلان دمث الاخلاق اي لينها.
و في ص ٢٩٢ : « ابو الهزبل » بالزاي والصواب بالذال المعجمة وفيها ايضا
احمد بن ابي داود « والصواب (دواد) بتأخير الالف من الواو وهما
متكلمان مشهوران .

و في ص ٢٩٨ : « ذنب الحمار — يضرب مثالا لما يزيد ولا ينقص ...
وكان ابو بكر الخوارزمي يقول فلان كأمين المرجى، وذنب الحمار » والصواب
— كما في ص ١٣٥ من الكتاب نفسه « لا يزيد ولا ينقص » و « كأمين المرجى »
لان طائفة المرجئة تقول « الايمان لا يزيد ولا ينقص » .
و في ص ٣١٠ : « العرب تقول في الدعاء على العدو :

رماه لاله بداه الذئب ب لاث دهره جائع »

هكذا على هيئة بيت من بحر المتقارب وعندى عدة ادلة على ان الكلام ليس
بنظم : الاول ان الشطر الثاني غير مستقيم الوزن . الثاني ان تحليل الدعاء على
هذا الاسلوب لا يلائم الذوق الادبي . الثالث ان عبارة المصنف لا تدل على انه
نظم اذ لو كان نظما لقال : (قال الشاعر) ولم يقل : (العرب تقول) .
و في ص ٣١١ بيت هكذا :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه احال على النعم
وهو خير موزون والصواب ان يكون هكذا :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه (يوما) احال على النعم
وفي ص ٣١٩ بيت :

واما نومكم عن كل (خبر) كنوم الفهد لا يخشى دفاعا

هكذا بالباء الموحدة وعلق عليها حضرته قوله : « الخبر بفتحمة وسكون
الاختبار » ولم يشأ ان يرويها بالياء المثناة ويستريح من ضاء التفسير .
وفي ص ٣٢٠ بيت من الرجز :

ليس ينام كنوم الفهد ويا كل ككا كل المبد

وهو كما ترى ليس فيه ما يسمى رجزا والصواب ان يكون هكذا :

ليس بنائم كنوم القهد ولا يأكل ككل العبد
 وفي ص ٣٣٦ : « يقال أبر من هرة » فعلق عليها هذه العبارة : « الهرة
 قد أبرت بأولادها في أكلها إياهم ... » بزيادة الهمزة في الفعل واستعمل
 ضمير العقلاء . وهذا غاية في الجهل ١ وفي الصفحة نفسها بيت الراجز :
 أنك لو عمرت من الحسل أو عمر نوح زمن (المعطل)
 والصواب كما في ص ٥١٥ من الكتاب :
 أنك لو عمرت عمرت الحسل أو عمر نوح زمن القطعل
 وفي ص ٣٣٤ هذه الأبيات :

وطيب أهدي لنا طيباً فدلنا المهدي على المهدي
 لم يأتنا حتى أتتنا له روائح اغنت عن الند
 بظاهر اخشن من قنفذ وباطن ألين من زبد
 كلما تكشف منه المدى عن زعفران شيب بالند

وعلق على (الند) الأول قوله : « الند بالفتح الطيب » وهذا التفسير صحيح
 لكنه علق على (الند) الثاني قوله : « والند بالكسر الظير » وهذا نهاية الرقاعة
 والصواب أن الكسر لا مناسبة له هنا وإنما ساقه إلى اعتبار الكسر محاولة
 التخلص من الأخطاء فوقع في أتبع منه ولو كان على بصيرة من أمره لموض عن
 أحد التدين لفظة الرند وهو أيضاً ذو رائحة طيبة وبذلك يتخلص من الأخطاء .
 وفي ص ٣٤٦ : « والشعراء يشبهون الشيء الصغير القصير بإبهام القطا
 والحبارى وأظفور المصفور » علق على كلمة (أظفور) هسكدا : « أظفور
 وأظفار وأظاير جمع ظفر » والصواب أن لفظة (أظفور) مفرد كظفر وجمع الأول
 أظاير وجمع الثاني أظفار وراجع القاموس .
 وفي ص ٣٥١ آية المشهور :

اسد علي وفي الحروب نامة ورياء تنفر من صغير الصافر

علق على لفظة (رياء) قوله : « رياء صفة التمامة من ريد أي أقام وسكن »
 أقول : إن فعلاء صفة مشبهة مثل عرجاء وحقاء وتختص بما يفيد الثبوت لذلك
 لا ينبغي أن تأتي من (ريد) بمعنى أقام كما لا يأتي جلساء من جلس ولا كتباء

من كتب والصحيح ان ربداء من الربداء كخبراء من القبرة وزنا ومعنى .

وب ٢٥٤ من البيت المشهور :

بغلت الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقلاتا ترود

علق عليه قوله « مقلاتا مهجورة اي قليلة الولد وترود تلور باحثة » اقول : ان مقلاتا ليست من القلى اذ لا مناسبة له هنا فتفسيرها بالمهجورة ثم تفسير المهجورة بانها قليلة الولد تكلف ظاهر والصواب انها من القلت قال في القاموس « المقلات ناقة تضع واحدا ثم لا تحمل وامرأة لا يعيش لها ولد » وعلى ذلك ينبغي رسمها بالثاء المبسوطة لانها اصلية والرواية المشهورة « مقلات ترود » وهي المناسبة للفاية لان مطلع القصيدة :

ترى الرجل النعيف فتزدريه وب ٢٥٥ اثوابه أسد حضور

وب ٢٥٨ من وصف الطائر المعروف بالسمنك « هذا الطائر في طباعه مزاج من طلاء النفاطين واظن هذا الطلاء من طفل وخطمي ومفرة » فعلق على كلمة (النفاطين) قوله « النفاطين طلاء » وسكت والى القارىء الحكم .

وب ٢٨٢ بيت :

وما القطة الكدر الى القفر اهدى من الفقر الى الحشر

وعلق عليه قوله « الكدر والتكدر السريع » ولم اجد ثم اضاف لفظه (التكدر) وانت ترى ان البيت غير مستقيم الوزن وينبغي ان يكون من السريع هكذا :

وما القطة الكدر الى القفر اهدى من الفقر الى الحشر

باسقاط التاء لاقامة الوزن وليناسب كلمة (الكدر) لانها جمع اكدر كعمر لاجر والكثرة من صفات القطة .

وربما كانت كلمة القبر هنا اول من كلمة الحشر فتأمل .

وفي ص ١٣٩ قطعة للجاحظ في من طالع فراقه لاهله واشتد عليه الحال فوقع ب ٢ ما لا يحسن ذكره اوفيا يقول : « ومن كل كئلك لم يميز بين فتيان البهائم و... » كما ترى (غثيف) بالثاء وعلق عليها المصحح قوله : « والفتيان الحبث » ولم تصل مداكره الى ان يصحح الفتيان بالفثيان اي لا تيان . وفي ص ١٦٠ بيت :

أرى هليل الوجد يطفى ناراً إلا رضاء الحكاهب الفيداء
قال في الحاشية « الفيداء الفاذة بخلاف الأعيد فانه الوضآن المائل الصق »
فلينظر ما معنى قوله « بخلاف الأعيد ... » ؟

وفي ص ٤٩٠ حديث عن النبي (ص) : « مازالت أكلة خبير تعاودني فلا
تهدا أو تقطع ابهري » .

وفي الحاشية « الأبر جمع بر بالضم تتابع النفس » فيالله من هذا الألف
الذي لا يصدر مثله عن صاح ! انظروا رحمكم الله ما معنى هذه الحاشية ؟ واي
مناسبة بينها وبين الحديث ؟

قال في القاموس : « الأبر ... وانقطاع النفس من الأضياء ... » الى ان
قال : « والأبر الظهر وعرق فيه » ولا يخفى ان هذا هو المناسب للحديث .

وفي ص ٤٩٩ آيات في وصف السيف :
كأن طل متبيه امواج لجنة تفقأ به ضحضاحه وتطول
كأن صفار الفر كسرن فوقه عيون جراد ينهن دخول
حسام غداة الروح ماض كانه من الله في قبض النفوس رسول
علق عليها قوله (ضحضاحه اي بقربه) فاي فائدة به هذا التفسير ؟ مع

شروع كون معنى الضحضاح الماء الخفيف شبه به السيف .
ثم قال : (وقوله الدحول والداحول ما ينصبه سائد الظباء من الحشب)
ولم استطع ان افهم المناسبة بين هذا التشبيه وبين آلة لصيد الظباء .

والذي ينبغي ان يقال ان في الكلمة تصحيحا وصوابا دخول بالذال المعجمة
جمع ذحل وهو الثأر يقال : بين القيلتين ذحل قال الشاعر :

كل فج من البلاد كني طالب بفض اهله بنسول

وان شئت حدثتك ايها القارئ بشيء أعجب ولا عجب بعد الاطلاع على ما
سبق ذلك: اني انتهيت الى الصفحة ٥١٢ فاذا فيها فصل هذا عنوانه : (ليلة منيح
منيع بالشام) ... الى ان قال (ولما دخل الرشيد منيعا ...) فقلت ليت شمري
ما هو (منيح) الذي دخله الرشيد ولم اسمع به مع شغفي بالتاريخ ؟ وما هي
الليلة التي نسبت اليه ؟ ولولا عطفه على ذلك قوله (وهي بلدة البصري) لما
اهتديت الى ان يعني بلدة (منيح) !!!

ومما يضحك الثكل ما ورد في ص ٥٤٣ (كان سليمان بن عبد الملك يقول :
ان الفرس يسهل فتق لها الحجرة وان الفحل يهدر فتضع له التساقه وان التيس
لينث فتستحرم له العنز وان الرجل يغني فتشتاق له المرأة) فعلق عليها جناب
المصحح قوله : (نث يشرح) والصحيح انه بالباء التحتية المشددة مكن المثلثة
اي (ينسب) من نيب التيس وعلى الباحث ان يفتش عن كلمة (تضع) لعلها
(تضع) او غير ذلك . وتلق لا معنى لها هنا ولعلها تدق من ودق .
وفي الصفحة نفسها في فصل مقايمة الحاج « ... ونيذ الزيت » والزيت
لا نبيذ له ! بل هو الزيت قد حرف .

وفي ص ٥٤٧ « قال اعرابي لابنه : يا بني كن يدا لاصحابك على من
قاتلهم ولكن اياك والسيف فانه ظل الموت واتق الرمح فانه رشا الميتة واحذر
السهم فانه رمل الهلاك » .
علق على كلمة (رشا) قوله « رشا بكسر الراء وضمها جمع رشوة » ! هذا
واقعه شيء يكاد الناظر اليه يمزق ثيابه ! وسعك ! انها (رشاء) بالمد بمعنى الحبل
شبه به الرمح كما شبه عترة الرماح باسطان البشر في قوله :

يدعون عترة والرمح كأنها اسطوان بثر في لبنان الادهم

وفي ص ٥٥٠ بيت :

لارقة الحصر الرقيق غدتهم وتباعنوا من فطنة الاصراب
بالحاء المعجمة والصاد المهملة والصواب اعملك لاولى واعجمك الثانية .

وفي ص ٥٥٩ بيتان :

وند ما له ند تعاطيه من السنه

اذا ما دخل النار حكي رائحة الجنة

علق عليه قوله (الند بكسر النون الطيب والند بفتحها النظر) !!!

هذا ما هيء لي ان انبه عليه من تلك المخازي ومنه يعلم مبلغ ما منيت به
لنسا العزيزة التي هي دعامة هذه الامة الضعيفة . فكم بين اظهرنا من حامل
شارة العلم والادب لا يمتازون شيئا من هذا المصحح يجوسون خلال معاهد
الافادة ويسمون بسمات الاساتذة وهو لمعري اثر من آثار الفوضى التي دست
اشاجها في كل شأن من شؤوننا واقفه هو المجهول

محمود الملاح